Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكاتب الذي يموج صدره بمشاعر قومية يجد نفسه مدفوعاً إلى تلبية حاجة قومه إلى المثل الرفيعة فيقدمها لهم أول ما يقدمها من تاريخهم ، ولقد قدم جرجي زيدان رواياته في وقت كانت الأمة في مسيس الحاجة إلى التماس أصالتها واستعادة شخصيتها الحضارية . فكان من شأن قصصه أن كفَّرَ الأمة بماضيها وأصالتها وشخصيتها ما دامت صفحات الماضي ليست إلا صفحات الخزي والعار . فنحن نقرأ روايات زيدان فُرَادَى أو ننظر في أمرها مجتمعة فنراها تُفَرِّغُ تاريخ هذه الأمة من كل مفهوم للعبقرية إلا عبقرية الخزيات المنديات ، وكل مفهوم للبطولة إلا بطولة تكديس الجماجم وإراقة الدماء ، فما يريده بعض المستشرقين من محو لأمجاد تاريخ هذه الأمة أو تزييفه بصورة تقريرية قد حققه جرجي زيدان بصورة قصصية .

وإذا مثلنا على ما نقول بثلاثة أمثلة أحدها من شرق العالم الاسلامي وثانيها من غرب العالم الاسلامي والثالث من قلب العالم الاسلامي فان الاختيار يقع على روايات (العباسة أخت الرشيد) و(عبد الرحمن الناصر) و(شجرة الدر).

تطرح قصة العباسة وجعفر[٥٢] قضية اجتماعية وقضية سياسية ، وتدور القضية الاجتماعية حول حق الأسرة في السعادة الزوجية والعائلية ، وفي التئام شمل أفرادها، لا يبدد هذا الشمل عصبية اجتماعية قبلية ظالمة ، فقد كان الرشيد يثق بعقل أختـــه العباسة ، وبصرها بشئون السياسة ، وكان يحتاج إلى أن يسمع رأيها وإلى رأي وزيره الذكي الكفء جعفر بن يحيى البرمكي فيما يعرض من أمور الخلافة . فرأى الرشيد أن يعقد بين جعفر والعباسة عقد زواج ، حتى إذا جمعهما مجلس الرأي حـــل له أن ينظر إليها غير أن الرشيد أباح لهما النظر وحظر عليهما ما وراء ذلك من اختلاط .

وكانت العباسة ذات جمال وإشراق، وكان جعفر ذا وسامة وقسامة ، وكان أنْ زَيَّنَ لهما شبابهما والعقـد الشرعي الصحيح بينهما ، فكان أن صار لهما ولدان